المكتبة الخضراء للأطفال

٤٣

النجم الكبير



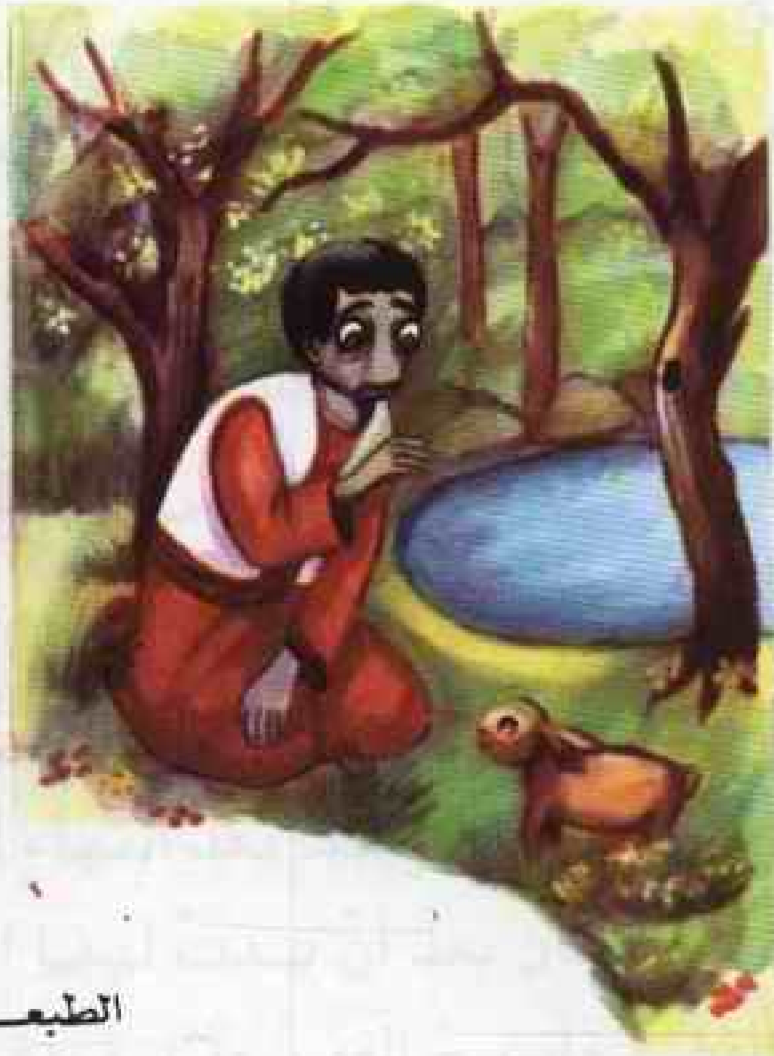
رسوم : منى جامع

بقلم : دكتورة زهيرة البيلى

المكتبة الخضراء للأطفال

٤٣

النجم الكبير



الطبعة الرابعة

بقلم : دكتورة زهيرة البيلي

رسوم: مني جامع



دار المعارف

فى أحدِ أيام فَصل الشّتاءِ، كَانَ الجوُّ شديدَ البرودةِ إلى دَرجـة أن حَيوانَاتِ الغَابَـةِ أخَـذتْ تَبحـثُ لنفسـهَا عـن مكـان دافـىءٍ تَختبىءُ فيه.

وَسَطِ البردِ القَارص مَشَى الثَّعلب الَّذِى كَان يُعـانِى مِـن العَـرج البَسِيطِ وَسَطِ العُشبِ ليحتَمِي مِن الرِّياحِ العَاصِفةِ، فأخفى ذَيلَـهُ بَينَ سَاقيه وأخذَ يئن ويَقول: هَذِهِ لَيلَةٌ باردةٌ لا مفر مِن الجلِيدِ الَّذِى يُغطى الأرض.

فى الوقتِ نَفسه زقزقت العَصافيرُ الخضراء الصَّغِـيرة قَائلَـةً: لَقَد مَاتت الأرضُ العَجُوزُ والتفتْ بثَوبهَا الأبيض.

لَكِن اليمَام لَم يعجِبْهُ هَذا الحـوار المتشـائم عَـن مَـوتِ الأرض بسببِ البَردِ الشَّدِيد فَرد قَـائلاً: إنَّ الأرضَ لم تمـتْ، إنـه يـوم عُرسَهَا وهى تَرتدِى ثوبَ الزفافِ الأبيض.

وَسط هَذَا الجـوِّ البَـاردِ الغَريـب سَـارَ أحـدُ الحطَّـابين برفقـةِ زَميل لَهُ فى طَريق العَودةِ إلى منزلِهما بعد انتهاء يَومٍ طويل من العملَ الشَّاق، أخذَا يَضحكان بعد أنْ بَـدتْ لهمـا الأرضُ كأنَّـها وردةً كبـيرةً مـنَ الفضـةِ وأصبـحَ القَمـرُ مِثـل وردةٍ كبـيرة مـن الذَّهَبِ. لَكِن بعد قَلِيل وفَجأةً لمعَ فِـى السَّماء نجـمٌ كبـيرٌ وسـطَ الظَّلام، إنسابَ بذيل براق طويل، ثُمَّ سَقطَ فى مكانٍ قَريـبٍ مـن أشجار الصَّفْصَافِ عِندَ أحدِ المرَاعِى الواسعة.



ومن شِدةِ الدَّهشةِ صَرخَ الحَطابُ قَائلاً: مَا هَـذا؟! لابـد إنـها حقيبة مليئة بالذَّهبِ، وبالفعل اندفعَ الحطَّابـان بسـرعةٍ بحثًـا عن هَذَا الذَّهبِ، وعِنـدَ أشجارِ الصَّفصَاف وجـدا شـيئًا مُذهبًـا لامعًا علىِ الأرض. فإذا بـه معطفًا مُرصعًـا بنجـوم مـن الذَّهـبِ، وعِندمَا فَتح الرجلان المعطفَ لم يجـدا بداخلـه الكـنزَ المُنتظـرِ، ولَكِن كَانتْ المفاجأةُ، إذ وجدا طفـلاً جَمِيـلاً نَائمًـا فقَـال الأولُ: يـا لهـا مـن نهايـةٍ مُؤسـفةٍ لآمالنـا وأحلامِنَـا، فمـا فَـائدة هَـذَا الطِّفل؟! لنتركه كما هو ونُكمل طريقنا إلى البيـتِ، إنَّنـا فقـراءُ ولدينا ما يَكفى مـن الأبنـاءِ لإطعامِـهم. وَلِكـن ردَّ عليـه زَميلـه قائلا: هَل مِن المعقول أن نتركَ الطفل يَموتُ من الـبردِ، حَقِيقـة أننى أشدُّ فقرًا منك ولدى عدد أكبر من الأطفال، لكننـى سـوف أحمله إلى زوجتى حَتّى نَعتنى بهِ.

بحنان بَالغ حملَ الحَطَّابُ الطفلَ الصغـيرَ بَعـد أن لفـه جيـدًا داخلَ المعطفِ، حَتَّى يحميه من الـبرد. أخـذَ يضمـه إلى صـدرهِ. نَزلَ الرجلان الربوةَ العَاليةَ فى طَريقهمَا إلى القريـةِ، وتَعجـبَ الحَطَّابُ مـن تَصـرف زَميلـه ورقـة قلبـهِ المرهـف، وعندمـا وصل الرجلان، قَالَ الحطَّـابُ الأولُ لصديقـهِ: بَمـا أنـك أخـذت الطفل، أعطنيِ المعطفَ، هَكذا نُصبح مُتسـاويين. لَكِـن الحطَّـابَ رَدَّ عليه قَائلا: لا، إن المعطفَ ملـك للطفـلِ الصغـيرِ، لـذا فـهو ليس من حَقنا.



عِندمَا فتحتْ زوجةُ الحَطَّابِ البابَ ورأتْ زوجَها الَّذِى عَادَ إليها سَالمًا، أخذتْ تَشكرُ الله عَلَى نِعمته، ثم سألت عن هذا الشيء الَّذى يَحمله فوقَ ظهره. فأسرعَ الحطابُ بالقول: لقد وجدت شيئا فى الغَابةِ فأحضرتُه لك لتتولى رعايته.

وخوفًا من ردود فعل زَوجته لم يَتحرك الحطَّابُ من فوق عَتبة البابِ. فَسألته الزوجةُ: مَا هَذا الشيءُ؟! أرنى مَاذا أحضرتَ لنا؟! البيتُ خالٍ من كل شيءٍ، والأولاد فى انتظار الطَّعام.

لكن عِندمَا أزاحَ الحَطَّابُ طَرفَ المعطفِ لمحتْ الزَّوجةُ طفلاً صَغِيرًا يَنامُ فى سلام. فأخذتْ تُردد: مَا هذا يا رجل؟! إن لدينا ما يكفى من الأولاد، وما أدراك إنه سوف يجلب لنا الحظ؟! وكيف لنا أنْ نسهرَ عَلَى تَربيتِهِ؟!

ثَارتْ الزّوجةُ عَلَى زَوجِهَا الَّذِى أجابَ عَلَى الفَور: لا.. إنه طفل جَاءَ به النَّجمُ الكبير من السَّماءِ.. وأخذَ الحطَّابُ يَحكى لِزوجتِه مَا حدث، وكيف تم العُثورُ عَلَى هَذَا الطفل البرىء. فَكانَ مِن الصَّعبِ عَلَى المرأةِ أنْ تُدرك حَقيقةَ الأمر أو أنْ تَهدأ. وأخذتْ تَسخرَ مِن زَوجِهَا، ثُمَّ قَالتْ لَهُ بغضبٍ: إنَّ أطفالنا لا يَجدون قطعةً واحدةً من الخبز، فَكيفَ نُطعمُ طفلَ الآخرين؟! أجَابَها الزّوجُ: إن الله وحده هُوَ الَّذى يُطعمُ كُلَّ

المخلُوقاتِ، هُوَ الَّذِى يَبعثُ بالطعام لكافةِ المخلوقاتِ، العَصَافِيرُ والطيـورُ وسَـائر الحيوانـات. هُنَـا سَألته الزَّوجَـةُ: ألا تمـوتُ العَصافير من الجوعِ فى فصل الشِّتَاءِ؟

لم ينطقْ الرجل بحـرفٍ واحـدٍ ولَـمْ يتَحـرك مِـن فـوق عَتبـةِ البـابِ، لَكِـن عِندمَـا هبـتْ الريـاحُ العَاصِفـةُ لتملـىء الحجـرةُ بـالصَّقِيع، تَراجعـتْ الزوجـةُ عَـن موقفِـهَا قَائلـةً: أليـس مـن الأفضل أنْ تغلقَ هَـذا البـابَ؟ إننـى أشعر بالـبرد الشَّدِيدِ، رَدَّ عَليهَا الرجل قَائلاً: إنَّ المنزل الَّذِى يعيش فِيه قَلبٌ قـاسٍ لابـد أنْ يدَخلهُ الهواءُ الباردُ.

ودُونَ أنْ تَنطقَ الزوجةُ بحرفٍ واحـدٍ، اقـتربتْ مِـن المدفـأةِ، وبعد لحظةٍ إلتفتت إلى زَوجِهَا وقَـد امتـلأتْ عَيناهَـا بـالدّموعِ، فاقتربَ مِنها الزَّوجُ ليضعَ لهـا الطفـل بَـين ذِرَاعِيـهَا، وأخـذتْ الزوجـةُ تُقبل الطفل ثُمَّ وضعته فوقَ السـرير لينـامَ بـالقربِ من أصغر أطفالها.

فى صباح اليوم التَّالى وضعَ الحَطَّابُ المعطـفَ المرصـعَ بـالنجُوم الذَّهبيـةِ فـى دولابٍ قَديـمٍ، بَينمَـا احتفظـتْ زَوجتُـهُ بـالقلادةِ المصنوعةِ من العَنبر الَّتِى كانَ يَرتديها الطفل فِى مكان أمين.

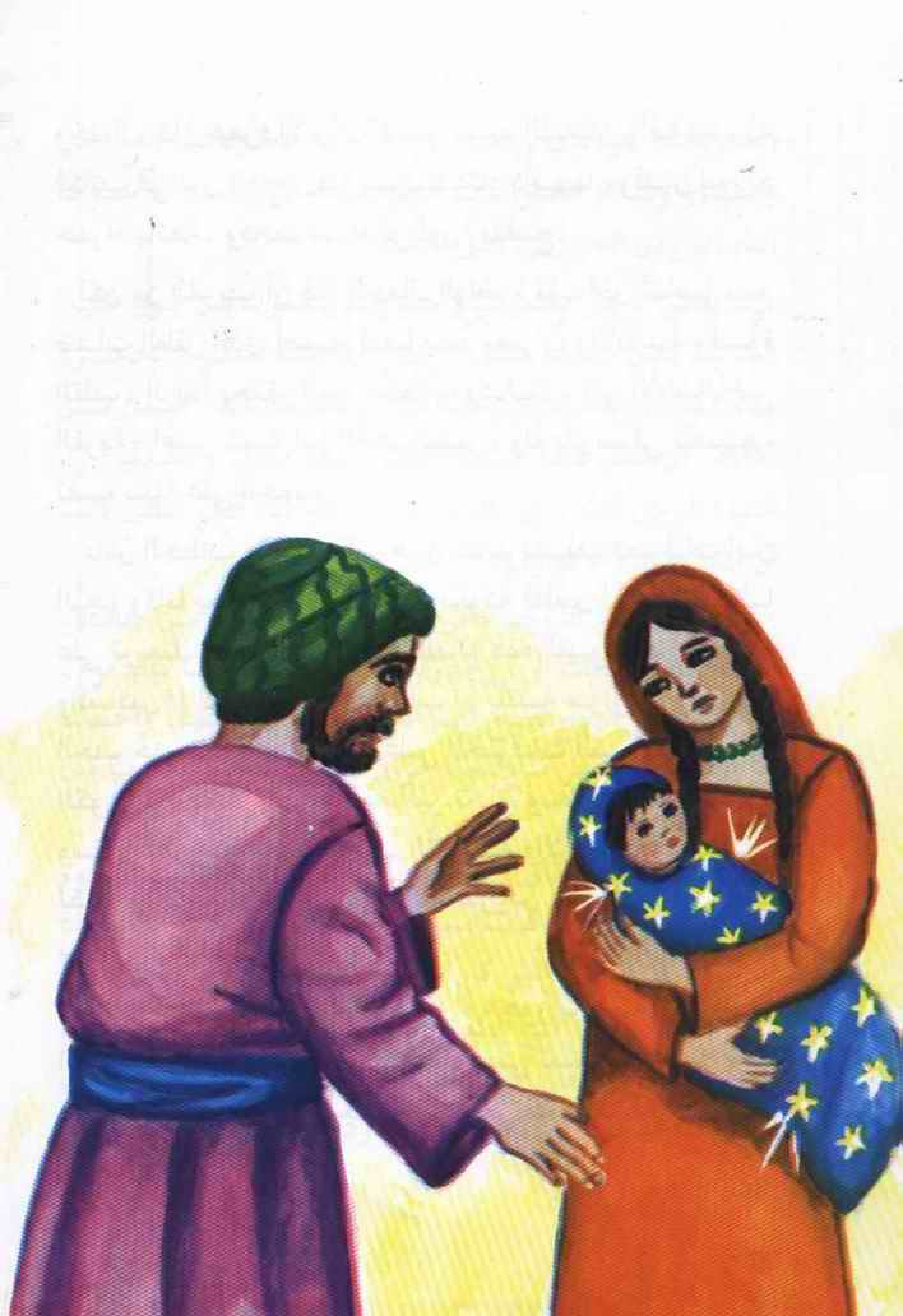
مَـرت الأيـامُ وتَربـى الطفـل ابـن النَّجـم الكَبـير وسَـطَ أبنَــاءِ الحطَّـابِ، عَـاشَ فـى نفس المكان حَيثُ شَارك بقيــةَ الأولادِ ألعابَهم وحَياتهم. وعـام بعـد عـامٍ ازدادَ الطفـل الصغِيرُ صحـة

وجمالاً، كَانَ شَعرُه الأسوُد الفاحم شديدَ اللمعان، أمَّا بَشرتُه فكانتْ فى لون العاج، كما بدتْ شفتاهُ كأنهمَا ورقتان لوردةٍ حمراءَ يانعةٍ، وكانَتْ عَيْناه فِي لون البنفسَج.

لَكِن مِن الغَريبِ أنَّ هذا الجمالَ الواضح تنَاقِضَ تَمامًا مع صفاتِ الطفل الذِّى أصَبحَ فِيمَا بعدُ يُعرفُ بالأنَانِيةِ وقسوةِ القلبِ، إذ بَدَأ يحتقرَ أبناءَ الحطَّابِ وكذلك باقى الأطفال فى القريةِ، اعتبرِ نَفسه ابن النَّجمِ الكبيرِ، ولَمْ يَترددْ فى تنصيبِ نَفسه سَيدًا عَلى الجميعِ.

عَاشَ الحَطَّابُ وزوجتُهُ فى حزن شديدٍ بسبب تصرفاتِ ابن النَّجمِ وكَانا يُحاولان دائمًا إصلاح سُلوكِهَ قَائلين لَهُ: لَقَدْ عَكفنَا عَلَى تَربيتك عَلى أحسنِ وجهٍ.. فلماذَا هَذِه القسوة تجاهَ الفقراءِ والمساكين؟! كما حاولَ الحطَّابُ أنْ يُلقنَه مِرارًا دُروسًا فى الحبِ حَتَّى يتَعلمَ الرَّحمةَ عَلَى المخلوقاتِ الَّتى يَزخرُ بهَا الكونُ. كَانَ يَقولُ لَهُ: دع العصافيرَ تُحلقَ وسطَ الغابَةِ فِى حريةٍ وسلامٍ. فمن تكون أنتَ لتجلبَ التَّعَاسةَ والألمِ عَلَى الآخرينَ؟ لَكِن ابْنُ النَّجمِ لَمْ يَهتمْ بكل هذه الدروسِ الجمِيلة، بل أخَذَ يسخرُ مِن كلامِ الحطَّابِ.

وفِى أحدِ الأيام مرتْ بالقريةِ امرأةٌ عَجوزٌ بائسةٌ، من شدةِ التَّعبِ جَلستْ تَحتَ إحدى الأشجار حَتَّى تَسترد أنفاسَهَا. لَكِن بمُجردِ أنْ لمحَهَا ابن النَّجم الكَبير حتى قَالَ لأصدقائِه:



أترون؟؟! تَحتَ هذه الشَّجرةِ الجمِيلةِ بفرُوعِها الخضراءِ اللامعة، شَحاذة دَمِيمةٌ، هيَّا لنطردهَا مِن هُنَاك.

بعد أنْ اقتربَ منها ابن النَّجم، أخَذَ يلقي عَليهَا الحِجَارةَ، فخَافت المرأةُ العجوزُ وأخذتْ تَنظرُ إليه بخوفٍ شَديدٍ، لكن دون أن يغيبَ عن عينيهَا لحظةً. ولأن الحَطَّابَ كان يقومُ بعملهِ فِي ذَلِكَ اليوم عِندَ الغَابةِ، لمحَ ابن النَّجم فجرى إليه مُسرعًا لينقذَ المرأة المسكينة منه وأخَذَ يقولَ لَهُ: مَاذا فَعلتْ لك هذه المرأةُ لتُعَاملهَا بهذِه القسوة؟

ومِن شِدة الغَضبِ إزداد وجه الغُلام احمرارًا، وأخذَ يَدقُ الأرضَ بقدميه ويَقولُ: من تكون أنتَ حَتَّى تُؤنِّبنى؟ لستُ ابنك حَتَّى أطِيعَكَ، أجابَ الحَطَّابُ: أنتَ عَلَى حقٍ.. لكِنني عَطِفتُ عَليكَ عِندمَا وجدتُك وَحِيدًا وسطَ الغابةِ.

عِنَدما سمعت المرأةُ العجوزُ هذه الكلمات، صرخت ثُمَّ وقعتْ على الأرض مَغشيًا عليها. فَحملَهَا الحطابُ إلى البيتِ لتعتنى بها زَوجته ولتقدمَ لَها الطَّعامَ والشَّرابَ.

لَمْ تكن المرأةُ تُريدُ شيئًا مِن كُلِّ هَذَا، لَكِنهَا أخذتْ تَسألُ الحطَّابَ: لَقَد سمعتُكَ تَقولُ إنك وجدت الطفلَ وسطَ الغابةِ، فهَل كَان هذا مُنذ عَشرِ سنواتٍ؟ أجابَها الحَطَّابُ: نَعم.. لَقَد وجدتُه وسطَ الغابةِ، فَردت المرأةُ المسكينةُ: هَل كَانتْ مَعهُ عَلاماتٌ مميزةٌ ؟ ألم يكن يَرتدى قلادة من العنبر؟ ألمِ يكن



ملفوفًا داخلَ معطفٍ مطرزٍ بنجوم من الذَّهبِ؟ قَالَ لهَا الحَطَّابُ عَلَى الفور: نَعَم، هَذَا كُلُّ مَا حَدثَ، وأسرِعِ الرجلُ ليخرجَ المعطفَ من الدولاب القَديم ليقدمَه للمرأةِ الَّتى انهمرتْ فى البكاءِ وبمجرد أن رأت المعطفَ أخذتْ تقول بفرحةٍ: إنه ابنى، لقد ضَاعَ مِنى وسطَ الغابةِ، أرجُوكَ نَادِى عليه فأنا أريده الآن بعد أنْ بحثتُ عَنه طويلا.

خَرجَ الحَطَّابُ وزوجتُه ليناديا عَلَى ابن النَّجم الكَبير وَقالا لَهُ: تَعالَ إلى البيتِ إنَّ والدتك فى انتظارك. بعد أن دخل الغلامُ بسرعةٍ وهو فرحان، ضَحك عِندمَا رأى المرأة الَّتى فى انتظاره فَقال: لَكِن، أين أمى؟! إننى لا أرى سِوى هذه المرأة العَجوز. فقالت له المرأة: إننى أمكَ.. رد عَليهَا الغُلامُ بغضبٍ شديدٍ: هل جننتِ؟! كيف تقولين ذَلكَ؟! إنَّنى ابن النَّجم الكَبير، أمَا أنتِ فمجرد امرأة دَمِيمةٍ مُهلهلةِ الثيابِ، لا أريدُ أنْ أرى وجهك، أخذتْ المرأة المسكينة تردد: لا.. لا.. أنت طفلى الصغير، لقد ولدت وسط الغابة.

انهارت المرأة جَاثية عَلَى رُكبتيها تَتَوسل إليه ليسمعَها، وأخذتْ تَحكى لَه حقِيقَةَ ما حدثَ: لَقد خَطفك اللصوصُ، لكننى تعرفتَ عَليك الآن، هذه القلادة، وهذا المَعطفُ المرصعُ بالنّجوم، تعال إلىّ لقد بَحثتُ عَنك طويلا، إننى فى حاجةٍ إلى حُبك الآن.

لَكِن الغلامَ بقي جَامدًا في مكانِه بلا حراك، لا ينصُت لبكاء المرأةِ، وعِندما تكلم أخيرًا قال بصوتٍ جافٍ: إذا كنت حَقًا أمي فقد كَان من الأفضل ألا تأتي إلى هُنا، فَأنا أشعرُ بالخزي أمامَ الجميع بعد أن كُنتُ أظَن أنني ابن النَّجمِ الكبير، اذهبي.. أنا لا أريدُ أنْ أراكَ. قَالتْ المرأةُ بحزن بَالغ: قبل أن أذهب تعال لتُقبلني، لقد قاسيت كثيرا من أجلكَ.. قَالَ الغلامُ: لا.. أهون على أن أقبلَ الحيةَ أو الضفدعَ السَّام.

نَهضت المرأةُ بإعياءٍ، واتجهتْ في اتجاهِ الغابةِ وهي تَبكي بمرارةٍ. وعِندَما رآها ابن النجم وهي تَبتعدُ، شعر بالارتياح ثُمَّ أخَذَ يلعبَ مع أصدقائه، وَلكن عِندَما رآه أصحَابُه أخذوا يَقولونِ لَهُ: ابتعدْ عَنا، إننا لا نريدُ أنْ نَلعبَ مَعَك. لقد أصبحتَ حقا مثل الضفدع السام وأشد قُبحا من الحيةِ. وقَامَ أصْدقاؤهُ بطردِه بَعِيدًا عَن الحديقةِ، فأصيبَ ابن النَّجمِ بالدِّهشة من أمر أصحابه وأخذ يَسأل نَفسه: لماذا يقولون ذَلِكَ؟! سأذهبُ إلى نبعِ الماءِ لأرى وأشاهد جَمالي وحُسني فوقَ صفحةِ الماءِ.

عِندما وصلَ الغلامُ إلى نبع الماء، إذا به يَرى وجهه قَدْ تَحول مثل الضُّفدع وأصبحَ جَسدُه مِثلَ الحيةِ. فانتابه الخوفُ وألقى بنفسِه عَلَى الأرض وسطَ الحشائش، وأخَذَ يَبكي بصوتٍ عال ويَقولُ: لَقدْ أنكرتُ أمي وطَردتها، إنني حَقًا أناني وقاسي



القلبِ. سَوف أذهبُ للبحث عَنها فِى كُلِّ مكـان، وجَـاءتْ ابنـةُ الحَطَّابِ تَجرى إليهِ، ووضعَتْ يَدهَا عَلـىَ كتفِـهِ وقـالتْ لَـهُ: لا تَحزنْ لأنك فقدت شَكلكَ الجَميل، ابق معنـا ولـن يسخر منـك أحد. رد عليها قائلا: لا.. لقد كنـتُ شديدَ القَسوةِ مَعَ أمِـى، وعَلىَّ أنْ أذهبَ للبحثِ عنها الآن حَتَّى تَغفرَ لى وتَصفح عَنى.

أخَذَ الغُلامُ يجرى فـى اتجـاهِ الغَابـةِ وهَـوُ يُنـادى عَلَـى أمِّـه لَكـن دُونَ أنْ يَتلقـى أيـةَ إجابـة: أخـذَ يُنـادى عليـها طِيلـةَ اليـومِ حَتَّى غَابتْ الشمسُ، فتمـددَ وسـطَ الحشـائش مـن شدةِ التَّعـبِ، وأخـذتْ العَصَافِيرُ تُحلـق مِـن حَولـهِ فِـى فَـزعٍ، ولم يَبقَ بجانبه إلا الضفادعُ والثعابينُ.

اسْتيقظَ الغُلامُ عِندَ الفجر، ثُـمَّ اسـتأنفَ طِريقَـهُ وسـطَ الغابـةِ وهُوَ مَازال يَبكى بمرارةٍ، وأخَذَ يسَألُ كلَّ مَن يقابلُـه عَـن أمـهِ، فَسألَ الضفدعَ: أنت تَتوغل بَعيدًا تَحـتَ الأرض، ألم تَعثر عَلَـى أمِى؟ رد عليه الضفدع قائلا: لكنك فى أحدِ الأيام فقأتَ عَينـى، فكيفَ أرى طَريقـى؟ ثُـمَ سَـألَ العَصفـورَ الأخضـرَ: إنـك تُحلـق بَعِيـدًا فـوقَ الأَشجار، ألم تـر أمِّـى؟ فَقـال لَـهُ العَصفـُور: لَقَـدْ كَسرتَ أجنحَتِى لِكى تُسلـى نَفسـكَ، فَكيـفَ أطـيرُ إذن؟ فسَـألَ السنجابَ: أين أمِّى؟ أجابَ السنجابُ: لَقـدَ قَتلـتَ أمـى، فَـهلْ تُريدُ أنْ تقتَلَ أمُّكَ أيضًا؟

أنخرطَ ابن النجم الكبير طَويلاً في البكاءِ طَالبًا من مخلوقات الله أن تُسامحَهُ، وفى اليوم الثالثِ وصلَ الغُلامُ إلى آخر الغابةِ فنزل السهل، وعِندمَا كَانَ يَمر بكـل قريـةٍ، كَـان الأطفـالُ يسَخرونَ مِنـهُ، ورفَض الفَلاحُون أن يسَمحوا لَهُ بالنَّومِ حَتَّى فى حَظائِر الحيوانـاتِ، وابتعـد عَنه النَّاسُ بلا رحمة.

لم يعثرُ الغُلامُ عَلَى أمـهِ العَجـوز، وهَامَ عَلَـى وجـهِ الأرض ثـلاثَ سنوات دُونَ أنْ تُفَارقَ خَيَالَـهُ، ثـلاثَ سـنواتٍ لَـمْ يَعـرفْ خِلاَلهَـا طعـمَ الحُب أو الرحمـةِ، عَـاشَ وسَـطَ عــالمٍ خَلقَـه لنفسـه بسـبب أنانيتِه وغُروره.

وفى مساءِ أحدِ الأيام وصلَ الغُلامُ إلى باب مَدِينةٍ كَبيرة تحيـطُ بـهَا الأسوارُ العاليةُ بَعد أنْ أنهكَـهُ التَّعـبُ والإعياءُ جَـاولَ اجْتيـازَ هَـذَا البابِ، لَكِن الحرس المُسلحَ مَنعُوه وقَالوا لَـهُ بجفـاءٍ: لِمـاذَا جئـتَ إلى هُنَا؟ ومَاذا تُريدُ؟ أجَاب الغُلامُ: إننى أبحثُ عَن أمى، أتوسلُ إليكـم اسمحوا لى بالدخول، فربمـا أجدهـا فِي هذه المدينةِ، ردَّ عَليـه أحـدُ الحرس قائلا: فى الحقيقةِ أن أمك لن تَسعد بلقائِك لأنك أكـثر قُبحًـا من الضفدع، اذهبْ بَعِيدا إن أمَّك لا تَقيم فِـى هـذه المدينـة. وقَـال لَـهُ حارسٌ آخَر كَان يَمسكُ بيده رايةً صفراءَ: من هى أمك؟ ولماذا تبحـثُ عَنهَا؟ أجَاب الغُلامُ: أمى عَجوزٌ فَقِيرةٌ، لَقَد عَاملتُهَا بقسـوةٍ وأتوسـلُ إليكم أريدُهَا أنْ تَصفح عَنى، لَكِن الحرس رفضوا السَّمَاح لَهُ بالدِّخول



وأبعدوه عن طَريقهم، عِندمَا هَمَّ الغُلامُ بالابتعادِ، أوقفَهُ أحدُ الحرس وقَالَ لأصدقائِهِ وهَو يضحكُ: ما رَأيكم؟ لنَبيعَ هَذَا الغُلامَ كعبدٍ وبثمنِه نَقضى لَيلةً سَعِيدةً.

سَمعَ هَذَا الحديثَ رَجلٌ عجوز كان مارا بالصدفة فقال لهم: هل يمكنُ أنْ أشترى هَذَا الغُلامَ؟ هَاهِى النُقودُ؟ بَعد أن دَفَعَ الرجلُ المبلغَ، أخذَ ابن النجم من يده، ودَخل به المدينةَ؟ وبعَد أن سارا وسط الشوارعِ والأزقةِ وصلا إلى بابٍ خَشبى مُغطى بأوراق الشَّجر. وفَتَحَ الرجلُ العجوزُ البابَ ونَزلا خمسَ درجاتٍ مَصنوعةٍ من البرُونز، فإذا بهمَا فجأةً وسطَ حديقةٍ كبيرةٍ، ثم أخرجَ الرَّجلُ من جيبه منديلاً مصنوعًا من الحرير، لفه حول عينى الغُلامِ حَتَّى لا يَرى الطريقَ الَّذى سَوفَ يسيران فيه.

عِندمَا رفعَ الغُلامُ المنديلَ عَن عَينه إذا بهِ فى زنزانة لا يضيئهَا إلا مصباحٌ خَافتٌ ووَضَع الرجل العجوزُ أمامَ الغُلامِ قطعًا من الخبز العَفن وقَالَ له: هيَّا.. تَناول طَعامَك. ثُمَّ وضَعَ أمامَه بعضَ الماءِ المالح وقَالَ: هيَّا.. اشربْ. بَعدَ أنْ أكلَ الغُلامُ وَشربَ قَيّده الرجلُ بالسلاسلِ الحدِيديةِ وخَرجَ وتَركَهُ بمفردِهِ بَعدَ أنْ أحكم غلق البابِ.

فى صباحِ اليوم التَّالى جَاء الرجلُ العَجوزُ الَّذِى كَانَ سَاحرًا مَعروفًا وقَال لَهُ: فى هذه الغابة القريبة تُوجدُ ثَلاث قطعٍ من



الذَّهبِ، واحدة بيضاءُ والثانيةُ صفراءُ والثَّالثةُ حمراءُ. عَليك أنْ تحضرَ لى اليوم قطعةَ الذَّهب البيضاء، وإذا لم تـأت بـها سـوفَ أقومُ بجلدِك مائةَ جَلـدةٍ. اذهـب بسـرعةِ الآن وَسوفَ أنتظـرُكَ قبلَ أن تَغيبَ الشَّمسُ عِندَ باب الحدِيقةِ.

كـانت الغابـة جَمِيلـةً سَـاحرةً تُحلِـق فيـها العصافـيرُ الملونـة، وتَزدهـرُ فِيـهَا الأزهـارُ برائحتِـهَا العطـرة. فَدخَـل الغُلام الغابة سَعِيدًا فرحًا ليبحث عـن قطعـةِ الذهـبِ البيضـاءِ. لَكِن بعد عناءٍ طَويل لَم يعثرْ عَلَـى شـىءٍ وضَاعَ مجـهوده بـدون جـدوى. وعِندَمـا قـاربت الشَّمسُ علـى المغِيـبِ اضطـر الغـلامُ للعودةِ، فأخَذ يَبكى طِيلة الطريق لأنه كان يعرفُ جيدًا المصير الَّذِى فى انتظـاره. لَكِـن عِندمَـا وَصـل إلى أطـرافِ الغابـةِ سَمعَ فجأةً صوتَ استغاثةٍ، فنسى ابن النجـم حُزنـه وجَـرى بسـرعةٍ فـى اتجـاهِ الصَّوتِ. فـإذا بـه أمـامَ أرنـبٍ صَغِير وَقعَ فـى فـخِ أحدِ الصيادين.

رَقَّ قلـبُ الغُـلام وبسـرعةٍ أخـذَ يُسَاعدُ الأرنـبَ حَتَّـى أطلـقَ سَرَاحَه، وقـال: حَقِيقـةً إننـى مـن العَبيـدِ لَكِننـى أستطيع أنْ أمنحَـكَ الحريـة. أجابـه الأرنـبُ الصغِيرُ قَـائلاً: لَقدَ أطلقـتَ سَراحِى مَاذا يُمكن أن أقدمَ لَكَ. قَالَ لَهُ الغُلامُ: إننى أبحثُ عَـن قطعةٍ مـن الذَّهـبِ الأبيـض، وإذا لَمْ أحضرْهَـا لسـيدى فَسَـوف أُضربُ بالسياط، فَقَال الأرنبُ: تَعال معى، أنا أعرفُ مَكانَها.

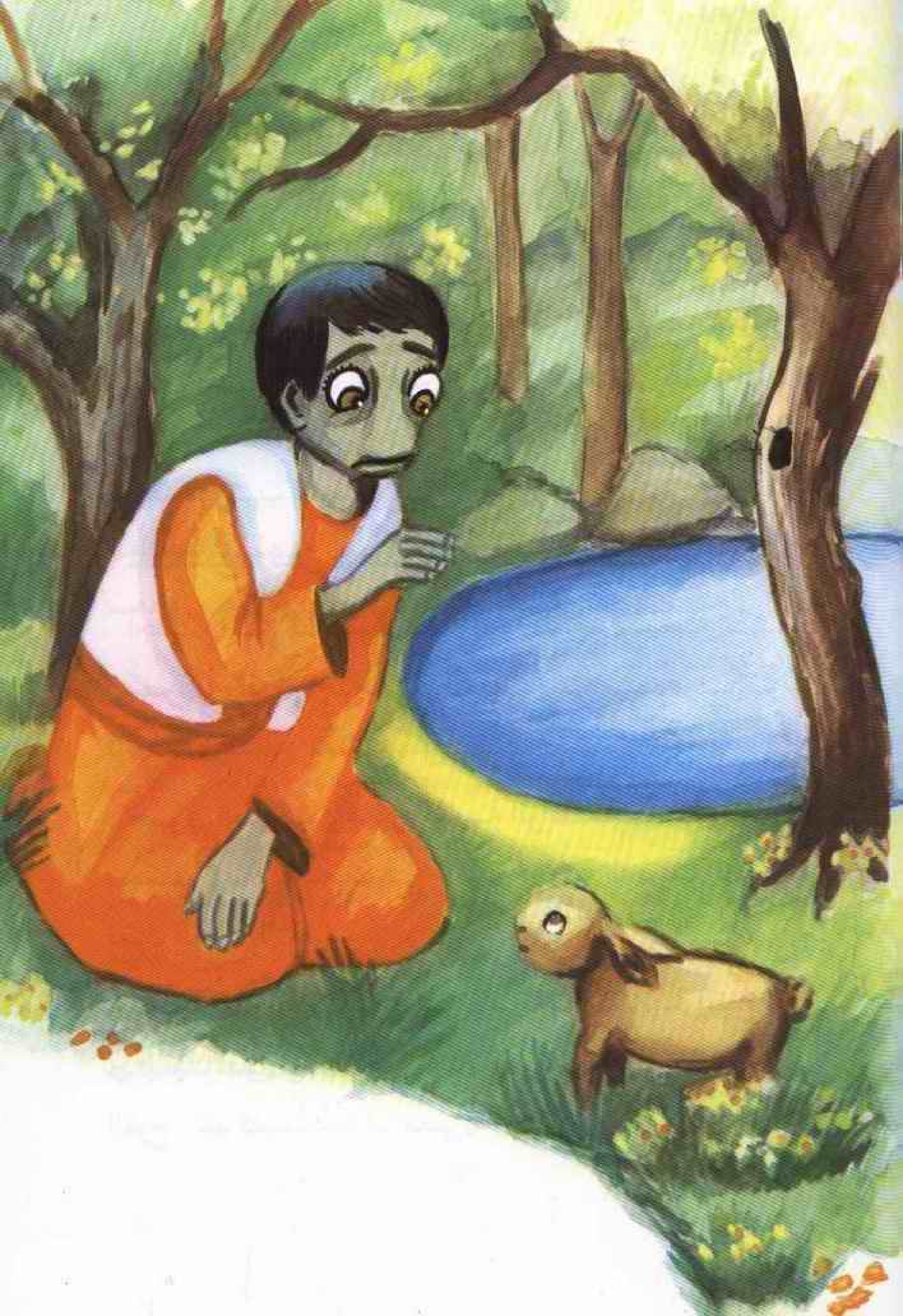
سَارَ الغُلامُ خلفَ الأرنبِ وعِنــدَ فتحــةٍ صغـيرةٍ وسـطَ شَجرةٍ كَثيفةٍ لمحَ قطعةَ الذَّهبِ البيضــاءَ. وبفرحــةٍ كَبـيرةٍ أخـذَ الغُـلامُ قِطعةَ الذَّهبِ وقال للأرنبِ: لَقـد سَـاعدتُك، وهَـا أنـتَ تُقـدمُ لى العَونَ.. إننى أشكرُكَ.

أخذَ الغُلامُ يَجـرى بسـرعةٍ صَـوبَ المدِينـةِ، وقَبـل أنْ يَجتـازَ البوابةَ الكَبيرةَ وَجدَ رجلاً عَجُوزًا يخفى وَجهه ويَمدُّ إليه يَــده ويَقولُ:

أعطنــى حَسـنةً للهِ، سـأمُوتُ جوعًـا، لَقَـدَ طَردونــى مـن هَـذِه المَدِينةِ.. ارحمنى.

قَالَ لَهُ الغُلامُ: إننى من العَبيدِ، ولَيسَ مَعِــى إلا قِطعــةُ نُقـودٍ وَاحدةٍ، وإذا لَمْ أعطـها لسـيدى سَـوفَ يَضربنــى، لَكِـن الرجـل العَجُوز أخــذَ يَتوسـل إليــه حَتَّــى أعطَـاهُ الغُـلام قِطعـةَ الذَّهـبِ البَيضاءِ.

وعِندمَا وَصلَ الغُلامُ إلى بيتِ السَّاحِر، فَتحَ لَهُ العَجُـوزُ البـاب وسَألَهُ عَلَى الفور: هل أحضرت قطعة الذهــبَ البيضـاء؟ أجـاب الغُـلامُ: ليسـت مَعِـى. فانهَالَ عَليه السَّاحِرُ بالضَّربِ، ثُمَّ ألقـى بهِ دَاخلَ الحُجرةِ المظلِمةِ ووضَعَ أمَامَه إناءً فارغًا وقال: اشــربْ وتناول طَعامَك.



فى صَباحِ اليومِ التَّالى جَاءَ الرجلُ العَجُوزُ وقَالَ للغُـلامِ: إذا لم تحضرْ لى قَطِعَةَ الذَّهبِ الصفراءِ سَوفَ تبقـى عِنـدى عَبـدًا مَـدى الحياةِ، كَما سوف أجلدك ثلثمائة جَلدةٍ.

لم يَكـنْ أمـامَ الغُـلام إلا أنْ يتوجـه إلى الغَابـةِ ليَبحـثَ عَـن قطعـةِ الذَّهـبِ الصفـراء ولكـن بـدون فـائدة. مـن شـدة العَنـاء والتَّعـبِ جَلـسَ عَلَـى الأرض وأخـذَ يَبكـى عِندمَـا سَـمعه صَدِيقُه الأرنـبُ الصغيرُ سَألَه:

لماذَا تَبكى ؟ هـل تَبحـثُ عَن شىءٍ ؟

أجابـه ابـن النجـم قَـائلا: أبحـث عَـن قطعـةِ الذَّهـبِ الصفـراءِ، وإذا لم أجدْهَـا سَـوفَ يُعـاقبُنى سـيدى بـالضَّربِ. قَالَ لَهُ الأرنـبُ: تعـال مَعِـى.

جـرى الصدِيقَـان عـبرَ الغَابـةِ الواسـعةِ حَتَّـى وصـلا إلى مُسـتنقع كَبـير، لَمعتْ فِـى قَاعـهِ قِطعـةُ الذَّهـبِ الصفـراء. فَقَـالَ الغُـلامُ للأرنـبِ:

كَمْ أشـكُركَ يـا صديقـى، هَـذِه هِـى المرة الثانيـة الَّتِـى تقدمُ لى فِيـهَا العَونَ والمسـاعَدَةَ. قَـالَ الأرنـبُ وهُـوَ يَجـرى مـن الفرحِ: لَقَد كنـتُ عَطوفًـا مَعِـى.

أخذَ الغُلامُ قِطعةَ الذَّهبِ الصفراء وجرى بسرعةٍ إلى المدينةِ.

ولَكن عِندمَا لمحه الشحاذُ العَجوزُ جَرى خَلفَه وَركَعَ عَلَى رُكبتيه وأخذَ يَقولُ لَهُ: أعطنى بعضَ النقودِ إننى أموت جوعًا. قَالَ لَه الغُلامُ: ليسَ مَعِى إلا قطعةُ الذَّهبِ الصفراء وإذا لَمْ أعطها لسيدى سوفَ أظلُ له عبدًا مدى الحياةِ.

لَكِن الغُلامَ رقَّ لحاله فأعطاه قطعةَ الذّهب، وعِندما وصَلَ إلى بَيتِ السَّاحِرِ العَجُوز بَادره بالسؤال عَن قطعةِ الذَّهبِ، قَالَ الغُلامُ:

ليستْ مَعَى قَطعةُ الذَّهبِ الصفراءِ، فانَهالَ عَليه السَّاحِرُ العَجُوزُ بالضَّربِ ثُمَّ قيده بالسلاسلِ والأغلال.

وفى صَباحِ اليوم التَالى طَلَبَ السَّاحِرُ مِن الغُلام أنْ يَحضرَ لَهُ قِطعةَ الذَّهب الحمراء وإلا قَتَله هذه المرة. سَارَ الغُلامُ إلى الغابةِ بَحثًا عَن قطعةِ الذَّهبِ الأخيرة، لَكِن بدون فائدةٍ، فَجَلسَ يَبكى حَتَّى جَاء إليه صَدِيقه الأرنب الَّذِى قَاده مرة أخرى إلى مَغارةٍ مُظلمةٍ لمعتْ بداخِلها قطعة الذّهبِ الحمراء.

جرى الغُلامُ فى اتجاه المدينةِ بعد أنْ شَكَرَ صَديقَهُ الأرنب عَلَى رقّةِ مَشاعره، لَكِنهُ التقى بالشَّحاذِ العَجُوز الّذِى نَادى عَليه قَائلاً:

أعطنى قطعةِ الذَّهبِ الحمراء وإلا مت جَوعًا. وبلا تردد أعطاه الغُلامُ قِطعةَ الذَّهبِ الحمراء، وقَال لَهُ:

- إن مأساتك أكبرُ من مُشكلتى.

عِندمَا اجتازَ الغُلامَ أبوابَ المدِينةِ، تَجمع حَولَهُ الحرسُ مِن كُلِّ جَانبٍ وَقالوا لَهُ: لقد تَحول شكلك وأصبحتْ بهيًّا سمح الطلعةِ! ثُمَّ تَجمعَ حَولَه الأهالى وسَمعَهم يَقولون: لم نرَ فى حياتِنَا مَن هُوَ أحسن منك. فَقالَ ابنْ النجم الكبير لنفسهِ وهُوَ يَبكى: لابدَّ إنهم يَسخرونَ منى.

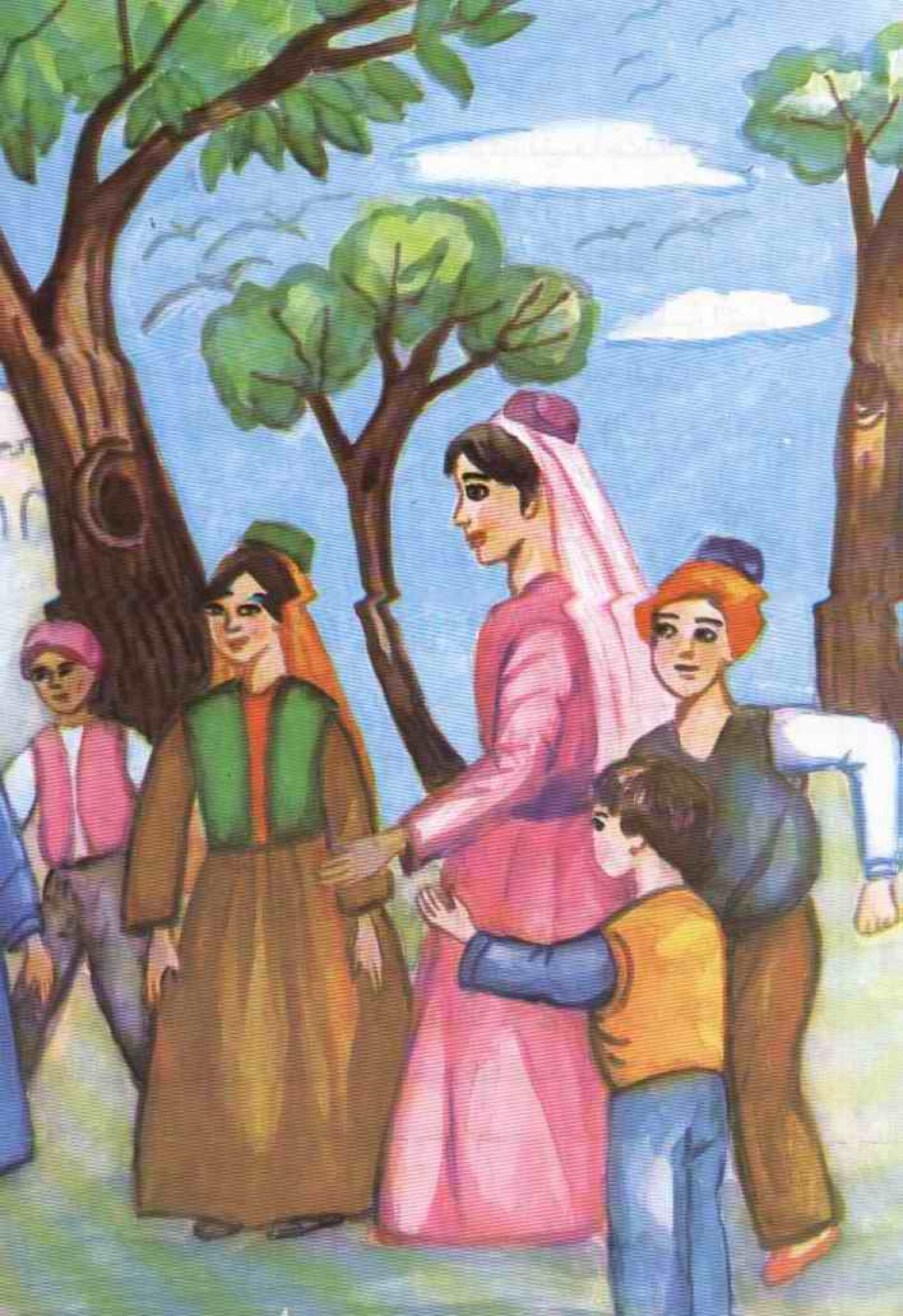
تَزاحمَ النَّاسُ حولَ الغُلام الصَغير حَتّى أنه ضَلَّ الطريقَ، فوجدَ نَفسه أمامَ قَصر الملك. وإذا بالباب الكَبير يُفتحُ فجأةً، ووجَدَ الوزراء وكِبَار القوم فى استْقبالِه وقالوا لَهُ:

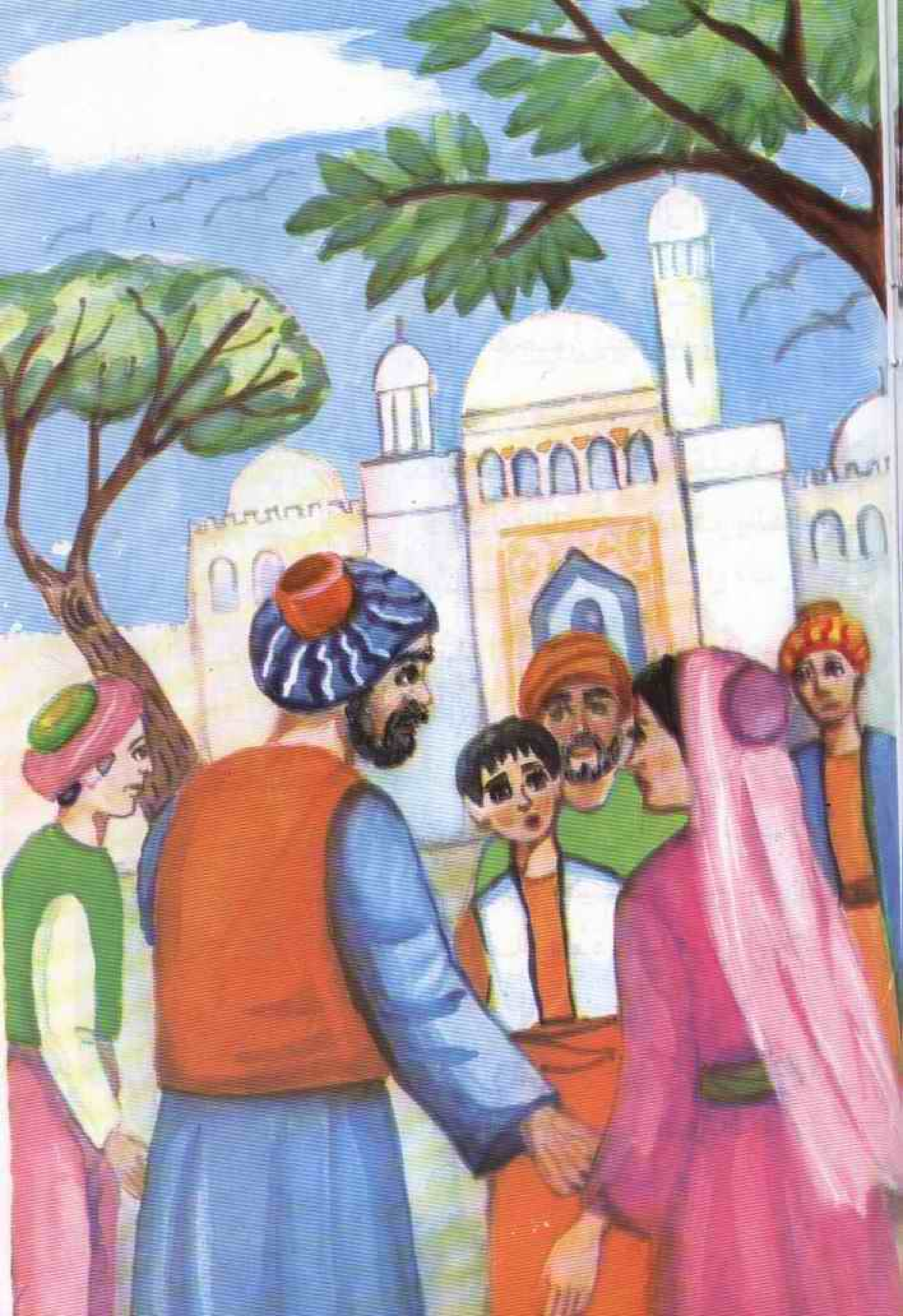
إنك الأمير الَّذِى كُنا فى انتظارهِ، أنت ابنُ الملكِ، فَقالَ ابنُ النجم بدهشةٍ: لستُ ابنَ الملكِ، ولَكِن والدتى امرأةٌ

فقيرةٌ وأنتم تَسخرون منى. اقتربَ منه أحدُ الحراس وقَالَ لَهُ: كيف يَقول سيدى الأميرُ ذَلِك.

وبعد أنْ نَظرَ الغُلامُ إلى نَفسِهِ فى المرآةِ اكتشفَ أنه عَادَ إلى شكله الأول، عَادتْ إليه نَفسُ الصورةِ الجميلةِ الَّتِى كَانَ عَليها بعد أنْ تَحسنتْ أخلاقُه. فقَالَ لَه الوزراءُ: كنا نَنتظرُ وصولَكَ مُنذ زَمن بَعيدٍ، لَكن الغُلام قَالَ لَهم: إننى لا أستحق كلَّ هَذَا الشرفِ، لقد أهنتُ والدتى الَّتِى أتَتْ بى إلى هَذِهِ الدُّنيا، ولَنْ أهدأ حَتَّى أعثرَ عَليهَا وأطلب مِنها الصفحَ والمغفرةَ.

أثناء حَدِيثه هَذَا وقعتْ عَيْنَا الغُلامِ عَلَى الطريق الَّذى يُوصلُ إلى بَابِ المدينةِ، فَلمَحَ المرأةَ العَجُوز أمه وبجَانبهَا الشَّحَاذ العَجوز الَّذى أعطاه قطعَ الذَّهبِ الثلاثةِ. فَصرخَ الغُلامُ مِن شِدةِ الفرحِ، وجَرى إلى أمِهِ سَاجدًا عَلَى رُكبَتيه ليُقبلَ قَدميهَا ويَغسلُهَا بدموعِهِ قَائلاً: لَقَد أنكرتُكِ عِندمَا كنتُ قويا، فَهل تقبلينى وأنا ضعيف، لقد حملت إليك الكراهية فَهل تَعطِينى الحب، لكن المرأة العجوز لَمْ تَنطقْ بحرفٍ واحدٍ، فمد الغُلامُ يَديه إلى الشَّحاذِ وقَال لَهُ: لَقد أعطيتُكَ ثلاثَ قطعٍ من الذَّهبِ، فاطلب من أمى أنْ تَصفحَ عَنى. لَكِن الشّحاذَ العجوزَ لم يَنطقْ بحرفٍ واحدٍ.





أخذَ الغُلامُ يَبكــى مِـن جَديـدٍ ويَتوسـلُ ويَقـولُ:

اغفـرى لى يـا أمِّـى وإلا ســوفَ أعــود ثانيًــا إلى الغابــة، وضعـتَ المـرأةُ يَدهَــا علَــى رأسـهِ وقـالتْ لـه:

انـهضْ الآن.. ووَضَـع الرجــلُ العَجــوزُ يَـده عَلَــى رَأســه وقَـالَ: انـهضْ..

بعـد أن نـهضَ الغُـلامُ واقفًـا، نَظَـر إليــهما بدهشــةٍ، فــإذا به فجأةً أمـامَ ملــكٍ وملكــةٍ. قَـالتْ لـه الملكـةُ: هـذا هـو والـدك الملك الَّذِى كَـانَ يبحـثُ عَنـكَ بنفسـه.

فَقَالَ الملـكُ: وَهـذِه هـى والدتـك الملكـة الَّتـى غَسلت قدميـها بدموعِكَ، لقـد بحثـتَ عَنـك طَويـلاً بنفسـها.

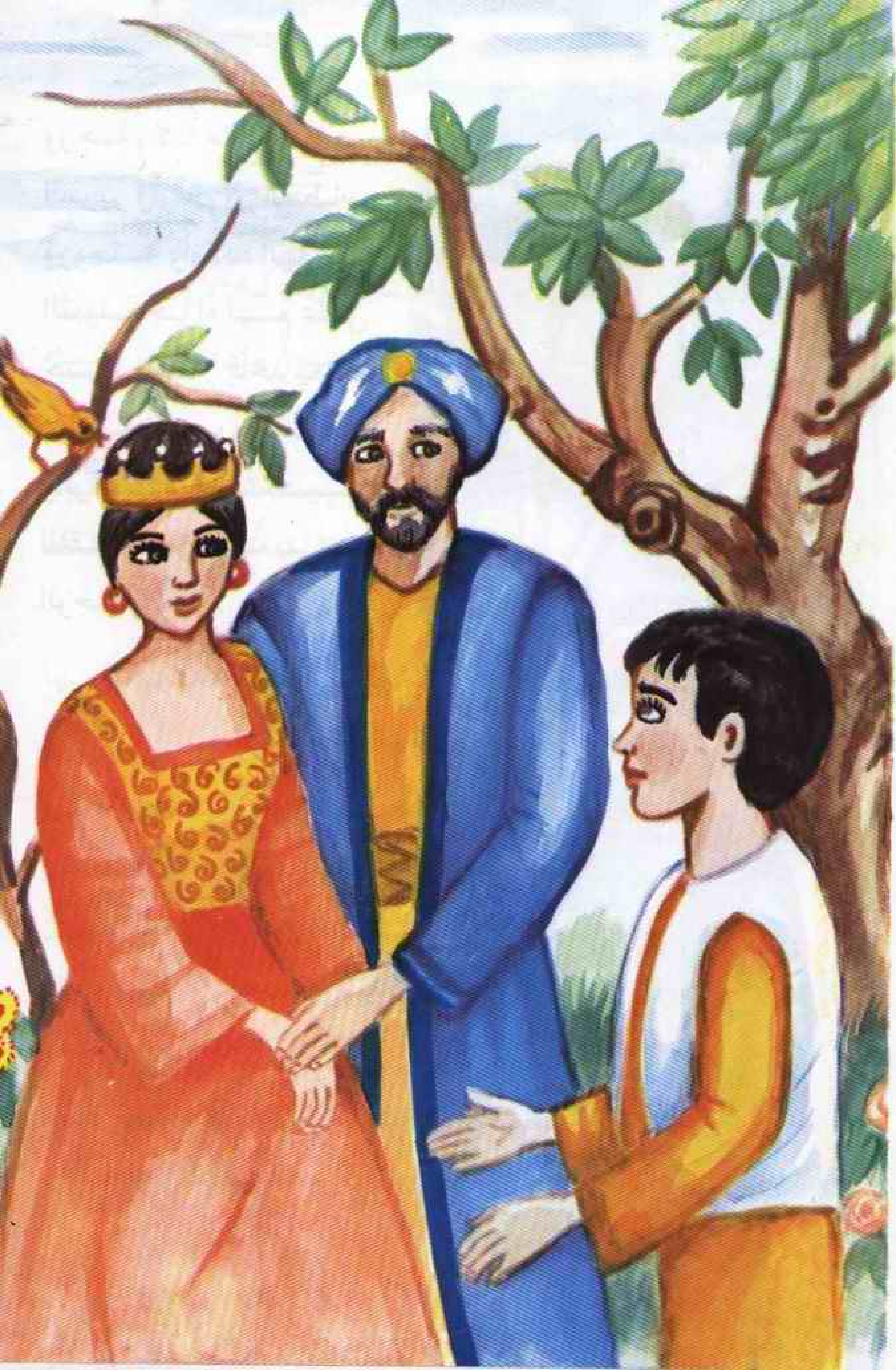
فـألقى الغـلام بنفسـه بـينَ ذراعــى والديــه ليقبلــهما، ثــم دخـل معـهما إلى القصـر حيـث ارتـدى أحلـى وأفخـرَ الثيــاب الَّتـــى تَليـــقُ بســـلوكه الشُّـــجَاع الطّيـــبِ.. وبعـــد أنْ رَقَّ قلبـهُ وامتـلأ بْحـبِ النَّـاس نَصبـةُ وَالـدُهُ مَلكًـا عَلـىَ البـلادِ فوضعَ تاجَ العــرش عَلَـى رأسِـهِ.

وهكَـذا أصَبـحَ الغُـلامُ ابـنُ النجـم الكَبـير حَاكمًـا عَلَــى هَــذِه المدِينةِ الَّتِى تُطـلُّ عَلَـى شـاطئِ النـهر، فحَكَـمَ بكـل عَدالـةٍ

ورحمةٍ، كَما عَاقبَ السَّاحرَ الشريرَ وأرسل إلى الحَطَّابِ وزوجتـه وأولاده الهدايـا الثمينـة جـزاءً لهـم عَلَى حُسن مُعاملته. فَأخذ يعلـمُ مملكتـه الحـب والتَّسـامحَ والرحمـةَ، كمـا أحَسـنَ للفقـراءِ فعرفـتْ بـلادُه الرخاءَ والسَّلامَ.

* * *





أسئلة على القصة

١ - لماذا سُمى بطلُ القصةِ باسم « ابنِ النّجِم الكَبيرِ » ؟

٢ - صِفْ أخلاقَ كُلٍّ مَن الحطَّابَيْن ؟

٣ - لماذا قال الحَطَّاب لزوجته : « إنَّ البيتَ الذى يعيشُ فيهِ قلبٌ قاسٍ لابد أنْ يدخَله الهواءُ البارد» وما تأثيُر هذِه الجملةِ علَى زوُجةِ الحَطَّابِ ؟

٤ - هل أخلاقُ ابنُ النَّجْم الكبيرِ كانتْ تتنَاسبُ مَع جمَالِ وجْهه ؟ ولَماذَا ؟

٥ - ما هِى الدرُوسُ التِى كانَ يحَاول الحطَّابَ أن يعلمَهَا لابُنِ النُجِم الكبيرِ؟

٦ - كيفَ عامَل ابْنُ النّجِم الكبير المرأةَ العجوزَ التِى كانْت تجلِسُ تحتَ الشَجَرةِ ؟ ومَنْ أنقذهَا مِنهُ ؟

٧ - لماذَا صرخَت المرأةُ العجُوُز ووقَعتْ علَى الأرَضِ مْغِشيًّا عليهَا؟ وكيف تعرَّفتْ على ابنهَا؟

٨ - كيفَ قابَل ابْنُ النَّجِم الكبير المرأةَ العجوزَ حِين عرَف أنَّهَا أمُّه بعدَ أنْ قصَّت عليهِ قصتَهَا ؟

٩ - ما هِيَ المواقفُ التي أدَّتْ إلى تغيير هيئة ابْنِ النَّجِم الكبير إلى هْيئَةِ ضفْدَع؟

١٠- مَا هِيَ المواقِفُ التي أعَادَتْ إلى ابْنِ النَّجم الكَبير هيْئَتَه الجَمِيلَة ؟

١١- مَا هى الدرُوس المستفادَةُ مِن هَذِه القصَّةِ ؟

